أنماط ممارسة السلطة في سورية القديمة:
دراسة مؤسساتية وإدارية

م.م. هشام شاكر حامد
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية – قسم التاريخ / بغداد – العراق

Patterns of Power Exercise in Ancient Syria: An Institutional and Administrative Study

Assistant lect Husham Shaker Hamid
Al-Mustansiriya University/ College of Basic Education- Department of History –Baghdad/ Iraq
hishamshaker@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

تتناول هذه الدراسة "أنماط ممارسة السلطة" من زاوية مؤسساتية وإدارية، عبر تحليل الأسس التي ارتكزت عليها السلطة، وآليات تنظيمها داخل المدينة، وتسعى الى توضيح الكيفية التي مورست بها السلطة عبر مؤسسات الحكم، والوقوف على دور البنية المؤسسية، والأسس القانونية والإدارية في تنظيم شؤون الدولة وإدارة مواردها، واستندت الدراسة الى المنهج التاريخي التحليلي، اعتماداً على النصوص المسمارية والدراسات الحديثة ذات الصلة، وقد اتخذت الدراسة مدن ماري وإيبلا وأوغاريت نماذج بحثية، لما توفره من أرشيفات إدارية وقانونية، تُعد مصادر أولية أساسية لفهم طبيعة السلطة في المدن السورية القديمة.

وجاء البحث في ثلاثة محاور رئيسة؛ تناول المحور الأول منها مفهوم السلطة في سياق الدراسات التاريخية والشرق الأدنى القديم، وخصص المحور الثاني لدراسة البنية المؤسسية للسلطة، من خلال القصر الملكي، والمعبد، والجهاز الإداري، وركز المحور الثالث على تحليل الأسس القانونية والإدارية التي استندت إليها ممارسة السلطة، متناولاً التنظيم الإداري، والوثائق القانونية، وآليات إدارة شؤون الدولة.

وتوصل البحث إلى أن ممارسة السلطة في المدن السورية القديمة لم تستند على السلطة الشخصية وحدها، بل قامت على منظومة مؤسساتية وإدارية متكاملة، كان لها الدور في تنظيم العلاقة بين مؤسسات الحكم، وتعزيز الاستقرار السياسي والإداري، بما يدل على مستوى متقدم من التنظيم المؤسسي في تلك المدن.

الكلمات المفتاحية: سورية القديمة، السلطة، ممارسة السلطة، البنية المؤسسية.

Abstract

This study examines “patterns of power exercise” from an institutional and administrative perspective. It analyzes the foundations upon which power was based and the mechanisms of its organization within the city. The study seeks to clarify how power was exercised through governing institutions and to identify the role of institutional structure and legal and administrative foundations in organizing state affairs and managing its resources. The study employs a historical-analytical approach, relying on cuneiform texts and relevant modern studies. The cities of Mari, Ebla, and Ugarit serve as case studies due to their wealth of administrative and legal archives, which are considered essential primary sources for understanding the nature of power in ancient Syrian cities.

The research is structured around three main axes. The first axis addresses the concept of power within the context of historical studies and the ancient Near East. The second axis focuses on the institutional structure of power, examining the royal palace, temples, and administrative apparatus. The third axis analyzes the legal and administrative foundations upon which the exercise of power was based, addressing administrative organization, legal documents, and mechanisms for managing state affairs.

The research concluded that the exercise of power in the ancient Syrian cities was not based on personal authority alone, but rather on an integrated institutional and administrative system that played a role in organizing the relationship between governing institutions and promoting political and administrative stability, indicating an advanced level of institutional organization in those cities.

Keywords: Ancient Syria, power, exercise of power, institutional structure

المقدمة

تُمثل السلطة احدى أبرز الركائز التي قامت عليها المدن والدول في الحضارات القديمة، إذ شكلت الإطار المنظم للعلاقات السياسية والإدارية والاقتصادية، وأسهمت في تنظيم المجتمع من خلال مؤسسات متخصصة وأطر قانونية وإدارية كفلت استمرارية الحكم وترسيخ الاستقرار، وقد شكلت دراسة السلطة محوراً مهماً في دراسات التاريخ القديم، لما توفره من معطيات تكشف عن طبيعة البناء السياسي والإداري للمجتمعات القديمة، ولا سيما من خلال الارشيفات المسمارية التي خلفتها المدن القديمة.

ومن أبرز المدن السورية القديمة التي كانت مادتها الوثائقية أساساً علمياً لدراسة مؤسسات الحكم وآليات ممارسة السلطة هي مدن ماري وإيبلا وأوغاريت، لما تضمه من ارشيفات قانونية وإدارية غنية تشكل مصدراً رئيساً لفهم تنظيم الدولة، واختصاصات مؤسساتها، والصلة الوظيفية بين القصر والمعبد والهيكل الإداري، واستناداً الى ذلك اعتمدت الدراسة تلك المدن نماذجً للدراسة، لما توفره من معطيات وثائقية تعكس الواقع المؤسسي والإداري في المدن السورية القديمة.

ولا تركز هذه الدراسة على تتبع التطور التاريخي للسلطة عبر حقبة زمنية محددة، بقدر ما تهتم بتحليل أنماط ممارستها، من خلال الوثائق القانونية والإدارية التي خلفتها المدن محل الدراسة، ومن ثم، تحدد الإطار الزمني للبحث، تبعاً للفترات التي شهدت ازدهار مدن ماري وإيبلا وأوغاريت، وظهور ارشيفاتها المسمارية، دون الالتزام بإطار زمني محدد، لأن وحدة الدراسة تقوم على وحدة الموضوع والمادة الوثائقية، وليس على التتابع الزمني للأحداث.

ويقصد بمصطلح "أنماط ممارسة السلطة» في هذه الدراسة الكيفية التي مورست بها السلطة من خلال مؤسسات الحكم، والآليات المؤسسية والإدارية التي استندت اليها، فضلاً عن الأسس القانونية التي نظمت ممارستها، وإدارة شؤون الدولة، ولا تستهدف هذه الدراسة حصر جميع أنماط ممارسة السلطة في سورية القديمة، او دراسة جميع مدنها، وانما تركز على تحليل النماذج التي توفرها مدن ماري وإيبلا وأوغاريت استناداً الى الوثائق التاريخية المتاحة.

واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي بوصفه منهجاً رئيساً، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي في توصيف البنية المؤسسية للسلطة وتحليل الأسس القانونية والإدارية المنظمة لها، واعتمدت الدراسة على المصادر الأولية، وفي مقدمتها النصوص المسمارية المتمثلة بالنصوص

المسمارية، إلى جانب الدراسات الحديثة ذات الصلة، وانقسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة؛ تناول أولها مفهوم السلطة، وخصص الثاني لدراسة البنية المؤسسية للسلطة، بينما تناول الثالث الأسس القانونية والإدارية لممارسة السلطة، للكشف عن الدور الذي اضطلعت به هذه العناصر في تنظيم الحكم، وإدارة شؤون الدولة في مدن ماري وإيبلا.

أولاً: مفهوم السلطة

يُعد مفهوم السلطة من الركائز الأساسية في تنظيم المجتمعات الانسانية، منذ العصور القديمة، وفي الإطار اللغوي، نجد ان لفظ السلطة يدل على معاني النفوذ والسيطرة (ابن منظور، د.ت)، كما يُستخدم أحيانًا للدلالة على الحجة (بن زكريا، 2001)، والبرهان (الزبيدي، 1977)، أي بما يعكس قدرة الإنسان على التأثير في غيره وإخضاعه (حسين، 2010) . أما في الإطار الاصطلاحي، فيُفهم بوصفه القدرة التي تُمكّن فردًا أو جهة ما من توجيه سلوك الآخرين داخل المجتمع، وكما يقول: كلافال «**السلطة ليست فقط أن نكون قادرين بأنفسنا أن نفعل الأشياء، بل أن نكون كذلك قادرين على أن نجعل غيرنا يفعلها**»، تضاف الى السيطرة المباشرة على العالم سيطرة غير مباشرة هي في الوقت ذاته سيطرة على الآخرين (كلافال، 1990)، سواء كان ذلك بالاعتماد على القوة المباشرة أو من خلال القبول والاعتراف بشرعية ذلك التأثير، وفي نفس السياق، يوضح عالم الاجتماع ماكس فيبر أن جوهر السلطة يتمثل في قابلية الأفراد للامتثال للأوامر ضمن علاقة اجتماعية قائمة (فيبر، 2015). بينما يقدّم الفيلسوف ميشيل فوكو تصوراً أوسع، إذ ينظر إلى السلطة على أنها شبكة من العلاقات المتداخلة التي تعمل داخل المجتمع، ولا تقتصر على جهة واحدة، بل تتوزع عبر المؤسسات والممارسات المختلفة (فوكو، 1990).

وفي أولى مراحل الجنس الإنساني، خضع الأفراد لسلطة الجماعة، وبمرور الزمن عبّر الناس عن ولائهم للجماعة، بواسطة ولائهم لرئيسها، وكان رئيس الجماعة معروفاً عند أفراد جماعته، وعند كثير من أفراد الجماعات الأخرى (رسل، 2005) .

وفي سياق الشرق الأدنى القديم، اتسمت السلطة بطابع مركب، نتيجة تداخل العناصر الدينية والسياسية والإدارية، بما يجعل عملية الفصل بين تلك المستويات غير ممكنة عند تحليل طبيعة الحكم، فالنظرة للملك لم تكن بوصفه قائداً سياسياً فقط، وانما بوصفه ممثلاً لإرادة عليا، وبذلك اكتسبت قراراته بعداً شرعياً يتجاوز القوة المادية (Liverani, 2014) .

ومورست السلطة ضمن إطار مؤسساتي متكامل، اشتركت فيه عدة مؤسسات، أبرزها القصر الملكي، والمعبد، والهيكل الإداري، حيث تتوزع وظائفها بين إصدار القرارات وتنفيذها ومراقبتها، ويظهر ذلك جليًا في المدونات القانونية التي نظمت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأرست منظومة للحقوق وللعقوبات بما يعكس الحضور الفاعل للسلطة في تنظيم الحياة اليومية (Roth, 1995).

وتأسيساً على ما سبق، فإن السلطة لا يمكن اختزالها من حيث التعريف المجرد فقط، بل من خلال التحليل الخاص بأنماط ممارستها، داخل بُنيتها المؤسسية، والآليات المعتمدة في فرضها، واستدامتها، وبذلك فأن ما سبق يشكل مدخلاً، لفهم طبيعة الحكم في المدن السورية القديمة (Yoffee, 2005).

يتبين من خلال الدراسات الخاصة بنشأة الدولة في الشرق الأدنى القديم أن مدن سورية القديمة لم تكن بمعزل عن التطور المؤسساتي الذي شهدته المنطقة، حيث تشكلت فيها مؤسسات دينية وإدارية أدت أدوارٍ هامة في تنظيم السلطة.

كانت السلطة في المدن السورية القديمة تستند الى بُعدين متكاملين اداري واقتصادي، مما أدى إلى تشكيل بيروقراطية وسلطة دينية، تولت البيروقراطية إدارة الشؤون الاقتصادية للمدينة، إذ أدارت وسجلت حركة الفائض من القرى إلى المدينة، كما حددت إعادة توزيع الموارد على عمالها، وأدارت أراضي الدولة، واخيراً، أرسلت البيروقراطية الأوامر إلى العمال المتخصصين، وخططت وشيدت البنى التحتية الرئيسية (مثل القنوات والمعابد والأسوار)، وانخرطت في التجارة لمسافات طويلة (Liverani, 2014)، أما السلطة الدينية، فقد تولت رعاية الأنشطة الدينية اليومية والخاصة، بالإضافة إلى المهرجانات العامة، لقد نجحت في إدارة تلك العلاقة مع الإله، التي وفرت المبرر الأيديولوجي للتفاوت الطبقي في المجتمع، كان المجتمع معتادًا بالفعل على تبرير الأحداث الخارجة عن سيطرة الإنسان من خلال إيمانه بالكيانات الإلهية، واسترضاءها من خلال أعمال بشرية مثل القرابين والتضحيات، ونتيجة لذلك، طُبقت تلك الأفكار على التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للدولة وهيكلها السياسي المركزي (Frankfort, 1965)، أدت العملية إلى نوع من التوازي بين تراكم الموارد وإعادة توزيعها، وممارسة تقديم القرابين للآلهة، تخلى المجتمع عن جزء من إنتاجه (في الواقع أفضل جزء منه، أي باكورة الثمار) للمجال الإلهي مقابل السلوك الصحيح والملائم للظواهر الطبيعية، وبالمثل، تخلى عن جزء من إنتاجه للطبقة الحاكمة مقابل تنظيم ناجح للدولة، وهكذا، أدارت الطبقة الحاكمة كلاً من العلاقات مع الإله من خلال كهنتها، وتنظيم الدولة من خلال بيروقراطيتها، مما جعل المجموعتين متداخلتين.

ونظراً للتفاوت الواضح في إعادة توزيع الموارد، ودرجة المساهمة، والطبقات الاجتماعية، فعندما لم تكن المعتقدات الأيديولوجية كافية، استطاعت السلطات المركزية ترسيخ وجودها بالقوة، وبهذه الطريقة، استطاعت الدولة الحفاظ على النظام في حال حدوث تمرد، وكان الملك مسؤولاً أيضاً عن القرارات الاستراتيجية والإدارية، ومع ذلك، كان دور الملك الأكثر وضوحاً يتعلق بالطقوس الدينية (Liverani, 2014) .

ثانياً: البنية المؤسسية للسلطة

كانت ممارسة السلطة في المدن السورية القديمة قائمة على بنية مؤسسية متكاملة، تتوزع فيها وظائف الحكم بين عدة أجهزة، في مقدمتها القصر الملكي، والمعبد، والجهاز الإداري، والنخبة الاجتماعية. ولا يمكن فهم طبيعة السلطة دون تحليل عمل المؤسسات بوصفها وحدات فاعلة في صنع القرار وتنفيذه (Van De Mieroop, 2007) .

القصر الملكي: يمثل القصر الملكي مركز السلطة السياسية والإدارية، حيث تُتخذ القرارات المتعلقة بتنظيم شؤون الدولة، وتُدار من خلاله الموارد والأنشطة الاقتصادية، وتكشف أرشيفات ماري عن وجود جهاز إداري متطور داخل القصر، يضم موظفين مختصين بالجباية وإدارة المراسلات، وتنظيم العمل، وهو ما يعكس طابعًا مؤسساتياً واضحاً للسلطة، بعيداً عن الطابع الفردي (Kuhrt, 1995).

فكانت القصور الملكية مقراً للإدارة الملكية، حيث كان الكتبة يعملون كإداريين في قطاعات متنوعة، وكان الموظفون المعينون من قبل الملوك الحاكمين يديرون القصور الإقليمية، وتميزت هذه القصور الإقليمية بهيكل بيروقراطي محدود للغاية، ومع ذلك، فقد شملت جميع الوظائف اللازمة للإدارة الجيدة للمدينة، في نطاق نفوذ مدينة ماري.

واعتمد اقتصاد القصور جزئياً على الأنشطة الزراعية في الوديان الخصبة، هذه الأنشطة كانت محدودة، لكنها كافية لدعم القصور الصغيرة، علاوة على ذلك، كان بإمكان القصور الاعتماد على الضرائب المفروضة على الأغنام التي تربيها القبائل، وعلى الشبكات التجارية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب والتي كان عليها أن تعبر هذه المنطقة الاستراتيجية، لم تكن الأراضي التي يديرها القصر مباشرة واسعة مقارنة بنظيراتها في بلاد ما بين النهرين، ولذلك، جُمع جزء كبير من الفائض من خلال الضرائب المفروضة على القرى والمجموعات الرعوية (Liverani, 2014).

المعبد: أما المعبد، فقد كان يمثل مؤسسة محورية في البنية السلطوية، فبالإضافة لدوره في أداء الطقوس الدينية (حماد، 2016)، فقد امتد هذا الدور ليشمل إدارة الموارد الاقتصادية، مثل الأراضي الزراعية والمخازن، والإشراف على العمال، على الرغم من ان المعابد كانت تفتقر إلى تلك الهياكل الاقتصادية والإدارية (المخازن وورش العمل)، وتشير الدراسات إلى أن المعابد في مدن مثل إيبلا كانت تمتلك قدراً كبيراً من الاستقلال الإداري، مع بقائها مرتبطة بالسلطة السياسية، وهو ما يعكس تداخلًا وظيفياً بين الإدارة والدين. (Liverani, 2014)

الجهاز الإداري: تكشف أرشيفات ماري عن وجود جهاز إداري منظم داخل القصر الملكي (إبراهيم، 1959)، تولّى إدارة المراسلات الرسمية، وتسجيل العمليات الاقتصادية، ومتابعة شؤون الموارد والعمال، وتظهر هذه الوثائق أن العمل الإداري كان يقوم على توزيع واضح للمهام بين عدد من الموظفين المختصين، الأمر الذي يعكس مستوى متقدم من التنظيم المؤسسي، وبدوره يؤكد أن تنفيذ قرارات السلطة كان يتم عبر جهاز إداري فعّال وليس بشكل فردي مباشر.

ومن امثلة هذه الوظائف كانت وظيفة (الوكيل)، أي مدير المنزل، وهو المسؤول عن إدارة مخزون القصر، والإشراف على استلام البضائع، ومراقبة النفقات، فضلاً عن وظيفة (المساح) ويشير هذا إلى المسؤول عن إنشاء سجل الأراضي، والإشراف على تقسيم الأراضي، سواء كانت موروثة أو مستردة، عند الوفاة أو التعيين الرسمي الجديد.

وفيما يتعلق بمن يتولى القيادة العسكرية للقوات البشرية في المنطقة، فأن المصادر تكشف أن الحاكم ليس مجرد سلطة إدارية، فهو ليس مدنياً برفقة قائد عسكري يملك السيطرة المطلقة على الشؤون العسكرية، في الواقع، الحاكم هو من يستدعي السكان المحليين للأشغال المدنية ولتلبية الاحتياجات العسكرية الطارئة، مع ذلك، في حال حشد قوات كبيرة، أو وصول وحدات أجنبية، غالباً ما تصل سلطة رفيعة، أو حتى الملك، من العاصمة وتتولى زمام الأمور، ويكون الحاكم حينها مسؤولاً عن الإمداد العام بالمؤن. (Marie Durand, Jean, 1997)

النخبة الاجتماعية: تضم كبار الموظفين والتجار، فضلاً عن الأشراف الأغنياء، فقد لعبت دوراً مؤثراً في دعم او توجيه السلطة، إذ لم تكن السلطة تُمارس بمعزل عن هذه الفئات، بل ضمن شبكة من العلاقات التي تفرض نوعاً من التوازن داخل البنية الحاكمة، ويبرز هذا الدور في المدن الساحلية مثل أوغاريت، حيث ارتبط النفوذ السياسي بالنشاط التجاري والعلاقات الخارجية (فرح، 1972).

وبذلك يتضح أن المدن السورية القديمة لم تكن السلطة فيها مركزة في يد الحاكم وحده، بل كانت نتاج تفاعل مؤسسات متعددة، أسهمت مجتمعة في تنظيم المجتمع وضمان استقرار النظام السياسي، وهو ما يفسر تنوع أنماط ممارستها من مدينة إلى أخرى.

ثالثاً: الأسس القانونية والإدارية لممارسة السلطة

أسس إدارية وقانونية – مدينة ماري (أنموذجاً)

كشفت وثائق أرشيف ماري عن ترابط واضح بين الإدارة والقانون في ممارسة السلطة، إذ يتبين من خلال الرسائل الملكية والنصوص الإدارية أن القرارات لم تكن تصدر بصورة عشوائية، بل كانت تُوثّق وتُتابَع وفق، آليات دقيقة، لمراقبة تنفيذ الأوامر، إذ تُشير احدى الوثائق بتكليف شخص يدعى (حبداما داغان) لإدارة احدى المقاطعات واعطائه القيادة العليا عليها وبالتالي، تُعد هذ الوثيقة دليلًا على أن بعض الحكام قد يتلقون الأوامر، ومن ثم تنفيذها وفق آليات مخطط لها من قبل السلطات العليا (Marie Durand, Jean, 1997).

كما وتشير النصوص من ماري الى عملية إدارة وتنظيم الموارد، والإشراف على العمال، من قبل حكام المقاطعات، فكان العمل يشمل كل المواطنين القادرين على العمل سواء كانوا أحراراً ام عبيد (ابو عاصي، 2002)

يعكس ذلك اعتماد السلطة على الكتابة والتسجيل بوصفهما وسيلتين لضبط الإدارة وتثبيت القرارات داخل البنية المؤسسية.

تنظيم قانوني واقتصادي – مدينة أوغاريت (أنموذجاً)

وفي مدينة أوغاريت تُبرز النصوص أن السلطة استندت إلى قواعد قانونية نظّمت العلاقات الاقتصادية والتجارية (Pardee, 2002)، حيث كشفت عن وجود عقود مكتوبة تُنظم عمليات البيع والشراء، وتحدد الالتزامات بين الأطراف، كما تعكس هذه النصوص دور الإدارة في توثيق المعاملات والإشراف عليها (Yon , 2006)، وبحسب وثيقة شراء، عُثر عليها، في الأرشيف المركزي لقصر أوغاريت، "اشترى شخصٌ ذو شأن يُدعى (ياهيسار) من شخص يُدعى (إيدارانو)، وُصف بأنه ابن السيدة (أستابي)، عقاراً مُصنفاً على أنه «قلعة»، وقد أكد الملك (نقامادو)، ابن نقامادو، عملية الشراء"، كما تخبرنا وثيقتان اخريان بعمليات شراء أراضٍ مختلفة مع شرط ضمان لصالح الأب، بينما تشكل أربع وثائق أخرى وصايا، وسند نقل ملكية من عائلة متخلفة عن السداد، ما يعني أن السلطة لم تقتصر على إصدار الأوامر، بل امتدت إلى تنظيم الحياة الاقتصادية عبر أدوات قانونية واضحة. (Nougayrol, et al., 1968)

وقد دلت الشواهد على أن ممارسة السلطة في مدن سورية القديمة لم تكن بمعزل عن الإطار القانوني والإداري، بل كانت قائمة على اساس تفاعل مستمر بين التطبيق المؤسسي والنصوص المنظمة، وهو بذلك أسهم في تحقيق نوع من الاستقرار في هذه المجتمعات.

تنظيم إداري واقتصادي– مدينة إيبلا (أنموذجاً)

يتضح من خلال الأرشيفات المكتشفة في مدينة إيبلا ان المدينة كانت تضم نظام إداري متقدم قائم على التسجيل الدقيق للأنشطة الاقتصادية والموارد، فقد ضمت الألواح المسمارية قوائم مفصلة للضرائب وللمواد، فضلاً عن حصص التوزيع، ما يعني وجود جهاز إداري مختص بمتابعة الشؤون التنظيمية والمالية.

وفي أحد الوثائق إشارة الى تسجيل واردات المعادن لإدارة القصر، وتتميز بالكلمة المفتاحية «MU-DU" والتي ما معناها «التسليم»، وهي خاصة بإيداع البضائع مثل المعادن والأقمشة وذلك من قِبَل كبار مسؤولي الإدارة، وهم «النبلاء» (LUGAL-LUGAL)، ويوجد في سجل احد النصوص قوائم بسيطة بتسليمات لمعدن الفضة أو الملابس من قبل المسؤولين، الذين تتراوح اعدادهم بين 15 و20 مسؤول، وتتراوح كل شحنة من الفضة (والتي يفترض أن تكون سنوية) بين 2 و10 مينا (حيث ان كل 1 مينا = 470 غرامًا)، كذلك تُظهر هذه السجلات أن مدينة إيبلا كانت تزخر بكميات كبيرة من الذهب والفضة مقارنةً بالكميات التي لدى مدن بلاد النهرين، على الأقل وفقاً لما يمكن استنتاجه من الوثائق، ويمكن أيضًا استنتاج أن الإدارة في مدينة إيبلا، كانت إدارة مركزية شديدة، ويمكن التأكد من ذلك أيضًا من خلال الكميات الهائلة من المنتوجات الزراعية فضلاً عن عدد الحيوانات التي كانت تابعة للقصر وكذلك بعض قوائم حصص المواد الغذائية والأقمشة.

يتبين ايضاً أن عدد النساء اللاتي عملن في أنشطة القصر يتراوح ما بين 600 و800 امرأة، اما عدد العمال الذين يعتمدون بشكل مباشر على مسؤولي الإدارة المركزية فيتراوح ما بين 4000 و5000.14 وضمت مدينة إيبلا قرى عديدة ومراكز حضرية، حيث كانت إقامة مسؤولو الإدارة، ومما تقدم يتضح أن مدينة إيبلا كانت تتمتع بخصائص «المركزية» التي تُدار وفقًا لنظام إعادة التوزيع (Archi, 2015).

اما عن طريقة حفظ هذه الوثائق، فكانت تتم في أحدى الغرف الخاصة في المقر الإداري، وفيما يتعلق بالوثائق الخاصة بتسجيل صرف الحصص الغذائية للموظفين، فهي قليلة نسبياً، وبالرغم من ذلك، فأن واحداً من النصوص من هذا النوع، ممثل تمثيلاً جيداً، ففيه إشارة الى تسليم

حصص غذائية للاحتياجات الخاصة للبعثات في الخارج، تدل الطبيعة الخاصة للوثائق المكتوبة في الأرشيف التي تم استعادتها حتى الآن على انها تعتمد كلياً على حقيقة جلية واحدة، أن جميع هذه الاكتشافات تم العثور عليها في أماكن حفظ النصوص الأصلية، وبناءً على ذلك، فأنها تنتمي إلى مجموعة متناسقة وثيقة الصلة بالوظيفة الخاصة لمحكمة الجمهور، فقد كانت بالدرجة الأساس، مكاناً تُمارس فيه الانشطة التجارية والمالية، ومن ثم كان هذا النوع من الألواح هو الأكثر شيوعاً بين الالواح التي تم العثور عليها اسفل الرواق الشرقي، ومن الجدير بالملاحظة، فضلاً عن ذلك، أن السجلات الخاصة بالمحاسبة هذه لم يتم تدميرها، بل جرى حرق الألواح المعنية بعناية، وظلت محفوظة على مدى أجيال، ويلاحظ من النصوص الأرشيفية، أن عملية توزيع البضائع كانت منظمة كلياً بإشراف الدولة، الأمر الجدير بالملاحظة، يتمثل في اتساع الرقعة الجغرافية المعنية بتوزيع القماش من إيبلا، ويتضح ذلك بجلاء من خلال وثائق الأرشيف (الرئيسي L.2769)، هذا النطاق الجغرافي الواسع، بالإضافة إلى احتوائه على العديد من مراكز المنطقة السورية، والتي لا يزال من الصعب تحديد معظمها، فقد امتدت من ساحل البحر الأبيض المتوسط. (Matthiae, 1981)

ومن خلال هذه السجلات يتضح أن السلطة كانت معتمدة على التوثيق المستمر كأداة لإدارة الاقتصاد وإحكام السيطرة على الموارد، ويدل ذلك على أن الإدارة قد اضطلعت بدور محوري في تطبيق ممارسة السلطة داخل المدينة، وتكشف المقارنة بين مدن ماري، وأوغاريت، وإيبلا، عن تقارب الأطر القانونية والإدارية لممارسة السلطة، ولاسيما فيما يتعلق بالاعتماد على الكتابة والتوثيق، الا ان هذا التشابه لم يمنع من وجود اختلافات في مستوى التنظيم ومدى تدخل السلطة في الحياة الاقتصادية، ففي مـاري يبدو واضحاً التفاعل بين الاوامر الملكية والهيكل الإداري (Marie Durand, Jean, 1997)، في المقابل، برزت الإدارة في إيبلا بوصفها أداة لضبط الموارد على نحو مركزي (Matthiae, 1981)، في حين تعكس النصوص الأوغاريتية، تنامي دور النشاط التجاري في صياغة الإطار القانوني (Pardee, 2002)، مما يدل على أن طبيعة الاقتصاد كانت عاملاً مؤثراً في تحديد آليات ممارسة السلطة داخل كل مدينة.

من خلال ما تقدم يبدو واضحاً أن للكتابة دوراً أساسياً في تنظيم العمل الإداري، إذ استُخدمت في توثيق القرارات وتسجيل المعاملات ومتابعة تنفيذها داخل مؤسسات الدولة، وتشير الدراسات إلى أن استخدام الكتابة في الإدارة، أسهم في تعزيز قدرة السلطة على إدارة الموارد وضبط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، من خلال الاعتماد على السجلات بوصفها أداة تنظيم ورقابة (Charpin, 2010).

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى تحليل أنماط ممارسة السلطة في سورية القديمة من منظور مؤسساتي وإداري، من خلال اتخاذ مدن ماري وإيبلا وأوغاريت نماذج للدراسة، استناداً الى ما توفره النصوص المسمارية والوثائق القانونية والإدارية من معطيات تاريخية، وقد كشفت نتائج البحث أن ممارسة السلطة في هذه المدن قامت على تكامل مؤسسات الحكم، وفي مقدمتها القصر الملكي والمعبد والجهاز الإداري، وهو ما انعكس في تنظيم شؤون الدولة وإدارة مواردها ضمن إطار مؤسسي مُنظم.

كما بينت الدراسة أن التنظيم القانوني والإداري شكل أحد المرتكزات الأساسية لممارسة السلطة، وأن الكتابة والأرشيفات المسمارية أدت دوراً محورياً في توثيق الاعمال الادارية وحفظ السجلات، ومتابعة تنفيذ القرارات، وتؤكد هذه النتائج أن مدن ماري وإيبلا وأوغاريت تمثل مصدراً اساساً لدراسة أنماط ممارسة السلطة ومؤسسات الحكم في سورية القديمة، وأن الاقتصار على هذه المدن جاء لوفرة مادتها الارشيفية وتنوعها، بما يسمح بتكوين تصور علمي دقيق عن آليات ممارسة السلطة، في حدود ما توفره المصادر التاريخية من معطيات.

الاستنتاجات

- بينت الدراسة أن مفهوم السلطة في مدن ماري وإيبلا وأوغاريت تجاوز ارتباطه بشخص الملك ليقوم على منظومة مؤسساتية نظمت شؤون الدولة وادارت المجتمع.
- كشفت الدراسة أن ممارسة السلطة استندت الى ثلاث مؤسسات رئيسة هي القصر الملكي، والمعبد، الجهاز الإداري، وان العلاقة بينها اتسمت بتكامل وظيفي واضح في إدارة شؤون المدينة.
- كشفت الوثائق الإدارية والقانونية في مدن ماري وإيبلا وأوغاريت عن تطور ملحوظ في التنظيم الإداري، تجسد في وجود أجهزة مختصة بإدارة الموارد، وتسجيل المعاملات، والإشراف على تنفيذ القرارات.
- أوضحت الدراسة أن الأسس القانونية والإدارية أسهمت في تنظيم العلاقة بين مؤسسات الحكم، وضبط الشؤون الاقتصادية والإدارية، بما يعكس استقرار التنظيم الإداري في المدن محل الدراسة.
- بينت الدراسة أن الكتابة والأرشيفات المسمارية شكلت أداة رئيسة في ممارسة السلطة، إذ أسهمت في توثيق النشاط الإداري، وتنظيم الموارد، ومتابعة تنفيذ القرارات.
- اوضحت الدراسة أن شرعية السلطة في المدن الثلاث قامت على تداخل البعدين الديني والسياسي، بما يعكس التكامل بين دور المعبد في إضفاء المشروعية الدينية، ودور القصر الملكي في إدارة شؤون الدولة وممارسة السلطة.
- تؤكد نتائج الدراسة أن الوثائق الخاصة بمدن محل الدراسة، تمثل اساساً مهماً لفهم آليات ممارسة السلطة في المدن السورية القديمة، مع مراعاة ان نتائجها تظل مقصورة على المدن التي تناولتها لدراسة، وفي حدود ما توفر عنها من وثائق تاريخية.

المصادر

- إبراهيم، نجيب ميخائيل، (1959). *مصر والشرق الادنى القديم (سورية)*. القاهرة : دار المعارف.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، (د.ت) *لسان العرب*، القاهرة : دار المعارف.
- ابو عاصي، علم الدين، (2002). *اقتصاد مملكة ماري القرن الثامن عشر ق.م دراسة تاريخية*. دمشق : وزارة الثقافة.
- بن زكريا. أبو الحسين أحمد بن فارس، (2001). معجم *مقاييس اللغة*. بيروت : دار احياء التراث.
- حسين. عبد الله روبين، (2010). معجم *النفائس الاساسي*. بيروت : دار النفائس.
- حماد. اريج سلوم، (2016). *الحياة الدينية في مملكة ابلا في عصر المحفوظات*. دمشق : اسم غير معروف.
- رسل. برتراند، (2005). *السلطة والفرد*. كولونيا : منشورات الجمل.
- الزبيدي. محمّد مرتضى الحسيني، (1977). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت : التراث العربي.
- فرح. نعيم، (1972). موجز *تاريخ الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي)*. دمشق : دار الفكر.
- فوكو. ميشيل، (1990). *المراقبة والمعاقبة*. بيروت : مركز الانماء القومي.
- فيبر. ماكس، (2015). *الاقتصاد والمجتمع الاقتصاد والانظمة الاجتماعية والقوى المخلفات*. بيروت : المنظمة العربية للترجمة.
- كلافال. بول (1990). *المكان والسلطة*. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- Archi, Alfonso (2015) *Ebla And Its Archives Texts, History, And Society,* Boston/Berlin : Walter De Gruyter Inc.
- Charpin, DOMINIQUE, (2010) *Writing, Law, And Kingship In Old Babylonian Mesopotamia,* Chicago And London : University Of Chicago Press.
- Frankfort, HENRI (1965) *Kingship And The Gods A Study Of Ancient Near Eastern Religion As The Integration Of Society & Nature.* Chicago : The University Of Chicago Press.
- Kuhrt, Amelie, (1995), *The Ancient Near East c. 3000–330 BC.* London And New York : Routledge.

- Liverani, MARIO, (2014) *The Ancient Near East History, Society And Economy.* London : Routledge/Taylor & Francis Group.
- Durand , Jean , Marie, (1997) *Les documents épistolaires du palais de Mari.* French : Les éditions du Cerf.
- Matthiae, PAOLO, (1981) *Ebla An Empire Rediscovered.* New York : Doubleday & Company, Inc..
- Nougayrol, et al, (1968) *Ugaritica. V: nouveaux textes accadiens, hourrites et ugaritiques des archives et bibliothèques privées d'Ugarit.* Paris : Imprimerie Nationale / Librairie Orientaliste Paul Geuthner.
- Pardee, Dennis (2002), *Ritual and Cult at Ugarit.* Atlanta : Society of Biblical Literature.
- Roth, Martha, (1995), *Law Collections From Mesopotamia And Asia Minor.* Atlanta : Scholars Press.
- Van De Mieroop, Marc, (2007) *A History Of The Ancient Near East Ca. 3000-323 Bc.* Malden : Ma Blackwell Publishing.
- Yoffee, NORMAN, (2005) *Myths Of The Archaic State Evolution Of The Earliest Cities, States, And Civilizations.* Cambridge : Cambridge University Press.
- Yon , Marguerite, (2006) *The City of Ugarit at Tell Ras Shamra.* Indiana : Eisenbrauns.